الفصل الرابع

التربية الإغريقية
(ثقافة الإغريق وخلقهم وتربيتهم)

الفصل الرابع

التربية الإغريقية

(ثقافة الإغريق وخلقهم وتربيتهم)

أولا : مقدمة :

يتفق المؤرخون على أهمية الموقع الجغرافى فى فهم التاريخ والثقافة والخلق والتربية . فإذا حاول المرء أن يكتب تاريخ حضارة ما فإن عليه أن يعرف طبيعة المسرح الذى دارت عليه حوادث المسرحية. يقول توينبى (١٩٥٨ ، ص٢) : «إن لمحة عابرة واحدة يلقيها المرء على طبيعة الأرض لتخبره بأكثر مما تخبره به سنوات طوال يقضيها فى دراسة الخرائط والنصوص». وبالرغم من إقرار هيجل (١٩٨١) بأهمية الموقع الجغرافى ، والأثر الذى تحدثه عوامل الطبيعة فى روح الشعب، فإنه يحذرنا من الغلو فى تأكيد شأن الطبيعة أو التهوين منه قائلاً (ص١٤٧) : «فمن المؤكد أن جو أيونيا Ionia المعتدل قد أسهم فى إضفاء الصفاء والرقة على أشعار هوميروس ، ولكن هذا الجو وحده لايخلق لنا شعراء من طراز هوميروس ، كما أنه لايظل يأتى بمثلهم . ففى العصر التركى لم يظهر شعراء». إن هيجل يعتقد أن لروح الشعب أثرا لايقل أهمية عن الموقع الجغرافى. ويقسم هيجل المناطق الجغرافية إلى ثلاثة أقسام هى الأرض المرتفعة القاحلة بسهولها الواسعة، والسهول الوديانية التى تتخللها وترويها أنهار عظيمة ، والمنطقة الساحلية التى ترتبط ارتباطا مباشرا بالبحر. أما المناطق المرتفعة فتتميز بوجود سهول كثيرة تصيبها الأمطار أحيانا، وتفيض عليها الأنهار أحيانا فتعشب وتصير صالحة للرعى . ونجد أمثلة لتلك البلاد فى أواسط أسيا ، وشمال بحر قزوين حتى البحر الأسود ، وفى الصحراء العربية ، والصحراء الكبرى الواقعة جنوبى بلاد المغرب والجزائر وتونس . ويغلب على سكان هذه المناطق الاشتغال بالرعى وملكية الحيوانات لا الأرض ، وتظهر لديهم صفات خلقية متناقضة كالكرم

وحسن الضيافة من ناحية والسلب والنهب والصعلكة من ناحية أخرى. أما منطقة السهول الوديانية فتجرى فيها الأنهار وتخصب تربتها وتصير صالحة للزراعة مثل سهول الصين والهند التى يخترقها نهرا السند والكنج ، وسهول بابل التى يجرى فيها نهرا دجلة والفرات ، وسهول مصر التى يرويها نهر النيل العظيم. وفى هذه المناطق الشاسعة تنمو الممالك مترامية الأطراف وتقوم الدول العظمى على أساس الزراعة ، وتظهر الملكية الخاصة للأرض ، والعلاقات التشريعية والقانونية . أما المناطق الساحلية المتاخمة للبحر فيغلب عليها عدد من السمات أجملها هيجل بقوله (ص١٥٩) : « إن البحر يعطينا فكرة اللا متعين واللامحدود واللامتناهى . وعندما يشعر الإنسان بلاتناهيه الخاص فى ذلك اللامتناهى الذى يقدمه له البحر يجد فى ذلك حافزا مشجعا على تجاوز نطاق المحدود . فالبحر يدعو الإنسان إلى الفتح والغزو والنهب والقرصنة . لكنه يدعوه أيضا إلى التجارة والكسب الشريف . أما الأرض ، وسهول الوادى فى حد ذاتها فتربط الإنسان بالتربة وتشده إليها ، وتجعله خاضعا لمجموعة لانهاية لها من التبعات، لكن البحر يخرجه من هذه المجالات المحدودة للفكر والسلوك». ومعنى ذلك أن حقائق الجغرافيا وخصوصيات الأرض والمناخ من العوامل المهمة فى فهم الحضارات وأخلاق الشعوب . ومما هو جدير بالذكر أن هذا الفهم موافق لما ذهب إليه ابن خلدون (١٩٧٩) من حيث تأثير الأقاليم الجغرافية والمناخية فى أبدان الناس وأخلاقهم واختلاف أحوال العمران تبعا لذلك.

ثانياً : الإغريق الأوائل وموطنهم الأصلى :

إننا لانعرف الكثير عن أصل الإغريق الأوائل وأغلب مانعرفه عنهم مستمد من الأساطير الإغريقية وغير الإغريقية. وأغلب الظن أنهم ينتمون إلى الجنس الهندى الأوربى الذى سكن فى منطقة المراعى الشمالية الواقعة شمالى آسيا وجنوبى بحر قزوين. وكانت هذه المنطقة طاردة للسكان كمنطقة المراعى الجنوبية التى خرج منها الساميون إلى منطقة الهلال الخصيب فى بابل وآشور وسوريا وفلسطين وشرق البحر المتوسط وجزر صقلية وكورسيكا وسردينيا وشمال أفريقيا. وبالمثل اندفع الهنود

الأوربيون على شكل هجرات جماعية فى شمال الهند وبلاد فارس وأسيا الصغرى وصقلية وإيطاليا وفرنسا. وكان الإغريق إحدى هذه الموجات التى استقرت فى بلاد اليونان وصقلية وإيطاليا . يقول براستد (١٩٨٣، ص ٢٧٣): «اليونانيون من أصل هندى أوربى» ويقول إيباى وأرووود Eby & Arrowood ١٩٤٠، ص) : «إن الإغريق ينحدرون من أصل آرى ». والآريون فرع من الجنس الهندى الأوربى . ولقد اعتمد بورى Bury (١٩٧٢، ص ص ٧٩ - ٨٠) على الأساطير الإغريقية فى إلقاء الضوء على الجماعات التى تألف منها الفرع الإغريقى . إذ تذهب إحدى الأساطير إلى أن الإغريق ينتمون إلى «هلين» الذى عاش فى سيسيليا ، وأنجب ثلاثة أبناء هم إليوس ، وأيون ، وروروس ، وإلى هؤلاء ينتسب الإيليون ، والأيونيون ، والروريون. وتذهب أسطورة أخرى إلى أن «هلين» كان له ثلاثة أبناء هم إليوس وروروس ، وزيوزس وإلى أن أيون وآخيوس نجلا زيوزس . ويرجح «بورى» الأسطورة الثانية على الأسطورة الأولى لاشتمالها على أخيوس الذى ينتسب إليه الآخيون الذين ورد ذكرهم فى ملحمة هوميروس . ولا يستبعد كاتب هذه السطور أن يكون الآخيون اسما أطلق على ثلاثة الأخوة الذين ورد ذكرهم فى الإسطورة الأولى وبالتالى يمكن قبول الإسطورتين لعدم اختلافهما وموافقتهما للحقائق المعروفة عن أصل الإغريق بصفة عامة.

واستقر الإغريق فى المناطق الواقعة حول بحر إيجه . وبحر إيجه بحيرة تحدق بها اليابسة من كل جانب ، وتتخلل الخلجان والموانئ فى شواطئها، وتزينها مئات الجزر الممتدة فى البحر كالأذرع . وحوض بحر إيجه أرض جبلية ذات وديان خصبة وسهول ضيقة وأنهار قصيرة . ولاتبعد بلاد الإغريق عن البحر من أى موقع. يقول توينبى (ب.ت ، ص٢٧) : « وطبيعة الأرض فى حوض بحر إيجه معقدة ، فسلاسل الجبال تقطع الأرض المستوية ، وصفوف الجزر تشطر البحر ، وحوض بحر إيجه يهيئ طرقا ممتازة للمواصلات البحرية ، وتؤدى شدة انحدار الجبال إلى تجمع التربة فى الفجوات ، ممايجعلها صالحة للزراعة ». ويقول سعد مرسى (١٩٩٢ ، ص١١٥) : «واليونان شبه جزيرة تمد أصابعها وجزرها فى البحر المتوسط .... وليس

شبه الجزيرة سهلا يرمح فيه الإنسان والحيوان .... بل جبالا ووهادا تتطلب مشقة وعملا وجهدا». والموقع على بحر إيجه يقترب من الحد الفاصل بين أوربا وأفريقيا. فشتاؤه شتاء أوربا وصيفه صيف أفريقيا . يقول «بورى» Bury (١٩٧٢ ، ص٤) : «ومناخ بحر إيجه معتدل ، شتاؤه ممطر ، وصيفه جاف ». ويضيف إيباى وأروود Eby & Arrowood (١٩٤٠ ، ص) أن صيفها طويل دافئ بسبب البحر وشتاءها بارد» . وكان لهذه الخصوصيات الطبيعية والجغرافية تأثيرات كبيرة فى حياة الإغريق. فالحواجز الطبيعية أعانت على ظهور مجتمعات مستقلة تحميها السلاسل الجبلية من أعدائها وجيرانها ، ومن ثم نمت المدن المستقلة وغلبت على السكان روح الاستقلال والسلوك الفردى، ولم يظهر فى تاريخهم السياسى وحدة قومية باقية . وكانت ندرة الأرض الزراعية فى الداخل ، واستحالة زيادة رقعة الأرض الصالحة للزراعة من العوامل الدافعة إلى اشتغال الإغريق بالصيد والتجارة ، والقرصنة والغزو. وكان لطبيعة الأرض المتفاوتة وتعود الإغريق على التغيرات الموسمية المتطرفة تأثيرا كبيرا فى إكسابهم القدرة على التكيف داخل نطاق واسع من الأقاليم الجغرافية والمناخية المختلفة . ويسر البحر والموانى والخلجان على الإغريق الاتصال بالبلاد المجاورة والإفادة من الحضارات والثقافات المتباينة كالحضارات الإيجية والفينيقية والكريتية والمصرية وآسيا الصغرى. يقول سعد مرسى (١٩٩٢ ، ص١١٤) : «ولم تتقابل حضارتا الشرق والغرب على أرض اليونان القديمة فحسب ، بل إن هذه الأرض ذاتها فجرت ينابيع من الحكمة والفلسفة سالت على الشرق ثم أغرقت الغرب إغراقا ما عاد بعده بمستطيع أن يقبل مزيدا من التراث الفكرى الذى خلفه الشرق». وكان لهذه الخصائص مجتمعة تأثير كبير فى ثقافة الإغريق وخلقهم وتربيتهم نوضحها فيما يلى.

ثالثا :ثقافة الإغريق وخلقهم :

أ- العمل والفراغ :

نظرا لخصوبة تربة الوديان فى حوض بحر إيجه كانت الزراعة هى العمل الأساسى للطبقة الحاكمة والنبلاء . وكانت الزراعة هى العمل اليدوى الوحيد الذى

حظى باحترام الإغريق . وبالرغم من اشتغال الإغريق بالصيد والصناعة والتجارة فلم تحظ تلك المهن باحترام الكثيرين وتركت للعبيد ، مما أعان على تفرغ الإغريق، وتوجيه طاقاتهم إلى التفكير فى مشاكل الحياة والوجود ، و الأنشطة الفنية والعقلية ، ولذلك كان إسهام الإغريق فى ميدان الثقافة أكبر من إسهام أية أمة قديمة عرفها التاريخ . ولقد ورثت شعوب العالم عن الإغريق الفنون والآداب والعلوم والفلسفة والسياسية ، وكانت فنونهم وعلومهم وآدابهم معايير تحتذى حتى وقت قريب .

ب- السفر والترحال:

كان السفر والترحال من السمات البارزة المميزة للحياة الإغريقية القديمة ، فقبل استقرارهم على شواطئ بحر إيجه كانوا قبائل مرتحلة . ولقد تجسدت هذه الروح فى شخصية أوديسيوس الشخصية الأساسية فى ملحمة الإلياذة لهوميروس. ومن الثابت تاريخيا أن ليكورغوس زار جزيرة كريت ومصر وأيونيا قبل صياغته لقوانين إسبرطة. كما زار هردوت وأفلاطون وأرسطو كثيرا من البلاد وتعلموا منها وعلموا أهلها الشئ الكثير . وشجعت الألعاب الأولمبية والمزارات الدينية الإغريق على الترحال والانتقال من مكان إلى مكان. وكانت الرحلة والإطلاع على أخلاق الشعوب وثقافتها وعلومها مدعاة لفخر الكثيرين من الإغريق . فلقد أورد جومبرز Gompers (١٩٠٥ ، ص٣١٨) افتخار ديموقريطس برحلاته الكثيرة قائلا : « أنا أكثر الناس ترحالا ، وأوسعهم أفقا، وأبصرهم بأخلاق الشعوب ، وأدقهم بحثا ، وأعرفهم بأحاديث المعلمين والمتعلمين».

جـ- محبة الرياضة والأنشطة الفنية:

أحب الإغريق الرياضة البدنية وعقدوا المسابقات الرياضية تكريما للضيوف، واحتفالا بالأعياد ، وتعظيما للألهة ، وتأبينا للموتى . واستخدمت الألعاب الأوليمبية فى التأريخ نظرا لأهميتها فى حياة الإغريق . وكانت الألعاب أولمبية تعقد مرة كل أربع سنوات . يقول بورى Bury (١٩٧٢ ، ص ١٤٢) : «كانت الألعاب الرياضية السمة الغالبة على العيد الذى يعقد كل أربع سنوات . واشتملت تلك الألعاب على

مسابقات العدو والملاكمة والمصارعة وسباق الخيل». وكانت معظم حياة الإغريق مستنفدة فى المنافسة ومشاهدة المتنافسين . يقول جاردنر Gardiner (١٩١٠، ص٣): «كانت هناك مباريات فى الشرب والسهر ومسابقات الجمال بين الرجال والأولاد. وكانت هناك مباريات فى الموسيقى والشعر والدراما والحفظ والمناقشة العقلية . فالإغريق أحبوا المناقشة والجدل محبتهم للجرى والمصارعة». ولذلك تمتعوا بقدر كبير من التآزر فى السمات العقلية والبدنية . إنهم لم يشتركوا فى الموسيقى والرقص والشعر باعتبارها أنشطة مستقلة ، وإنما باعتبارها شيئا واحدا. يقول «جاردنر» (ص٥٩٠) : « فالإغريق كانوا يغنون وهم يبذرون البذور ، ويغنون وهم يحصدون، ويغنون وهم يحرثون ويحلبون الأبقار ، ويغنون وهم يتزوجون أو يدفنون الموتى». ولامعنى للتفكير عند الإغريق إلا إذا كان مرتبطا بالسلوك.

د- عبادات الإغريق:

تدلنا قراءة أعمال هوميروس على أن الألهة الإغريقية تشبه الناس فى كثير من الوجوه. فهم يحبون ويكرهون ، وتتملكهم الغيرة والغضب ، ويكذبون ويغشون ويخدعون ويسرقون ويخونون تحقيقا لأغراضهم . وهم محبون للشرب والشغب والتبذل الخلقى حيث كان لهم إتصالات جنسية مع كائنات بشرية ، وكان لهم أولاد غير شرعيين . إن الإغريق الأوائل لم يعبدوا الطبيعة وعناصرها وقواها المختلفة كما فعل غيرهم من الشعوب ، وإنما عبدوا القوى المشخصة للطبيعة والإنسان . يقول توينبى (١٩٥٨ ، ص ٥٨): « إن المدينة الدولة حررت الأفراد من قيود عبادة الطبيعة... ولكنها أدخلت الأفراد فى عبودية المدينة الدولة ، والخضوع لقوانينها والتضحية بحياتهم من أجلها». ويقول لورى Laurie (١٩٠٠، ص٢٠٣): «إن العبادة الهلينية كانت فى الحقيقة عبادة للإنسانية . ففى التصور الهلينى كل شئ جميل يكون مقدسا، وكل ما يبعث على السرور يعتبر إلاها». لقد كان زيوس ـ أبو الآلهة الإغريقية ـ مصدرا للنظام فى العالم، «وباريس» مصدرا للجمال ، «وأجاكس» مصدرا للقوة ، و«أوديسيوس» مصدرا للحكمة ، «وأخيل» مصدرا للفعل والحركة ، و«أفروديت» «مصدرا للحب، وديميتر مصدرا للإنبات . وبالاضافة

إلى الآلهة الأولمبية كانت توجد ألهة كثيرة تتحكم فى مختلف الأنشطة كبذر البذور ، وإنضاج الحبوب ، والصيد ، والصناعة ، والتجارة ، والزواج والإنجاب ، والتطبيب وغيرها من الأنشطة . يقول توينبى (ب. ت ، ص٩٠) : « كان الإنسان الهلينى يعبد الإنسان فى صورة قوة الإنسان المجسمة فى المدينة الدولة التى حلت محل الآلهة الأولمبية باعتبارها الديانة الأولى للعالم الهلينى وإن لم يعترف بذلك صراحة». فسكان المدن الدول كانوا يعبدون مدنهم تحت قناع الآلهة القديمة ، وهم إذ يعبدون مدنهم إنما يعبدون أرواحهم الجماعية . ومعنى ذلك أنهم عبدوا القوى المشخصة للطبيعة والإنسان.

هـ- عوامل الاتصال والانفصال فى الثقافة الإغريقية:

الحضارة بصفة عامة هى شكل المجتمع الذى تنسجم فيه المصالح الفردية مع المصالح الاجتماعية . فالأفراد فى المجتمعات البدائية يعملون معا ولايسمح لهم بحرية التصرف أو التفرد والاستقلال ، وفى المجتمعات الحضارية تنمو الفردية وتزداد الحرية ويسمح بالاختلاف بين الأفراد للقيام بالوظائف الأساسية التى تحتاج إلى مهارات ومعارف واتجاهات متفاوته أو ما يسميه (دوركايم) بالتضامن العضوى. ولقد اجتمعت عناصر الفردية والجماعية فى الثقافة الإغريقية على نحو مقبول . فكانت اللغة الإغريقية مشتركة بين جميع الأمم الإغريقية على الرغم من اختلاف اللهجات التى لم تحل دون الإتصال. ولقد اشترك الإغريق فى قراءة أعمال هوميروس وهزيود، واستمعوا إلى الشعراء الجوالين وهم يتغنون بأمجاد الآلهة والأبطال والقيم والعادات والتقاليد التى أعزها الإغريق. وبالتالى كانت اللغة والشعر والموسيقى من العوامل المعينة على خلق الوجدان المشترك والمثل المرغوبة. وكان الدين من عوامل الوحدة فى الثقافة الإغريقية لأن جميع الإغريق عبدوا الاثنى عشر إلاها الذين عرفوا بالألهة الأولمبية. وكان للألعاب الأولمبية أثر فى توحيد الثقافة لايقل عن أثر الدين . وكان العيد الذى تقام فيه تلك الألعاب عيدا لجميع الإغريق. يقول بورى Bury (١٩٧٢ ، ص١٤٤): «إن هذه الألعاب أعانت على توحيد العالم الإغريقى ... إنها أصبحت مركزا يلتقى فيه الإغريق ويتبادلون فيه الأفكار

والأخبار والأحاديث والخبرات . أنهاكانت إحدى المؤسسات التى جمعت الإغريق وأصبحت نموذجا للاحتفالات الأخرى التى تزيد من الإحساس بالوحدة القومية ».
وكان وجود الإغريق بين شعوب برابرة عاملا من العوامل التى زادت من إحساسهم ووعيهم بالمجتمع الإغريقى . فحيثما حل الإغريقى احتفظ بلغته وعاداته وبنى مستعمرة إغريقية على غرار المدينة الدولة . وكانت الصلات وثيقة بين تلك المستعمرات والدول المدن الأصلية وبخاصة فى المواسم والأعياد والاحتفالات المختلفة . أما عوامل الفرقة والاختلاف والتفرد فى الثقافة الإغريقية فترجع أساسا إلى الاقليم الجغرافى الذى أقام فيه الإغريق الأوائل. فلقد كانت طبيعة الاقليم بجباله ووهادة ونهاده أحد العوامل الحاسمة فى تقسيم بلاد الإغريق إلى مجتمعات صغيرة مستقلة . وكان للطبيعة التلقائية للإغريق وميلهم إلى الفردية والاستقلال تأثير على التنافس أو الصراع الذى وقع بين المدن الدول . ولايمكن إغفال ما للألعاب الأولمبية التى غلبت فيها الألعاب الفردية على الألعاب الجماعية من أثر فى إذكاء روح المنافسة والعناية بالذات الفردية . وكما أعانت العبادات الجماعية على الوحدة كانت العبادات الإقليمية والمحلية مدعاة للفرقة . وكان للحياة العقلية الغالبة على الإغريق أثر بالغ فى نمو الروح الفردية لأن النشاط العقلى بطبعه نشاط فردى يعين على التفاوت والاختلاف . هذا فضلا عن انتشار المعتقدات السوفسطائية التى جعلت الإنسان الفرد مقياسا لكل شئ ، وبالتالى غالبت النزعات الفردية والنسبية والأنانية على حياة الإغريق وبخاصة فى المراحل المتأخرة ، فكانت سببا فى تقدمهم وفى ذهاب ريح دولتهم فى الآن عينه.

و- الفتوحات والغزوات:

امتدت سلطة الإغريق فيما وراء بلاد الإغريق إلى البحر الأسود وايطاليا وصقلية وأسبانيا وفرنسا فى وقت مبكر يرجع إلى القرن السادس قبل الميلاد. وكان من أهم دواعى هذا التوسع موقع الإقليم على البحر الأبيض المتوسط ، واشتغال سكانه بالتجارة ، ووجود الفقر الذى دفع الإغريق إلى المغامرة والاستقرار فى أماكن أخرى، وروح المغامرة التى غلبت على الإغريق ، وزيادة السكان. ويذكر بورى Bury

(١٩٧٢ ، ١٠٦) أن نظام ملكية الأرض فى بلاد الإغريق القديمة دفع السكان إلى الهجرة والاستعمار . ولعل ذلك يتضح من قوله: « فالأرض كانت مملوكة للأسرة أو القبيلة ، ولايستطيع الأفراد امتلاك شئ ملكية خاصة ». وربما كان للعوامل السياسية دخل فى هجرة بعض السكان لأن الحكم كان حكما للأقلية وتحكمت طبقة النبلاء فى كل شئ ولذلك حاول هؤلاء السكان ارتياد مناطق جديدة وتأسيس مدن جديدة يقومون على أمر حكمها وتدبير شئونها أسوة بالنبلاء. يقول «بورى» (ص٨٧) : «كان العامل السياسى السبب المباشر للتوسع ». ونتيجة لذلك امتدت الحضارة الإغريقية امتدادا عظيما واشتملت على معظم أجزاء العالم القديم. يقول توينبى (١٩٥٨ ، ص٧) : « كان أول ظهور للحضارة الإغريقية على جانبى البحر الإيجى ، وانتشرت إلى ماحول شواطئ البحر الأسود والبحر المتوسط ، ثم توغلت شرقا إلى أسيا الوسطى والهند وغربا إلى شواطئ شمال أفريقيا وأوربا المطلة على المحيط الاطلنطى بما فى ذلك جزء من الجزيرة البريطانية ».

رابعا : بدء الحضارة الإغريقية ونمو المدن الدول :

ظل الإغريق أمدا طويلا شعبا همجيا يرعى الأغنام والماشية حتى بعد استيلائهم على العالم الإيجى ، وعاشوا فى أسر وعشائر وقبائل . وحينما اشتغلوا بالزراعة فى العصر الحجرى القديم دخلوا طور الحضارة فاستقروا وأقاموا بيوتا وتجمعوا فى قرى وإتحدت القرى فألفت مدنا . وكانت كل مدينة مملكة صغيرة مستقلة لها جيشها وشرائعها وعبادتها الخاصة . يقول سعد مرسى (١٩٩٢، ص١١٥) : « وعلى أرض شبه الجزيرة تناثرت دول أطلق على كل منها مدينة دولة ... ولكل منها نظامها وقوانينها وتشريعاتها وأطماعها». واقتضت طبيعة الحياة الاجتماعية فى المدن أن ينصب أحد الزعماء أو رؤساء العشائر أو القبائل ملكا ليقوم بالوظائف الدينية ويفصل فى الخصومات ويعلن الحروب . غير أن الملك لم يبرم أمرا ذا بال دون مشورة زعماء القبائل أو مجلس الشيوخ. وحينما استتب الأمر للملوك طغوا وأفسدوا مما أثار روح التمرد والعصيان من جانب الشعب وحولوا نظام الحكم من الملكية إلى الجمهورية . وبعد القضاء على النظام الملكى فى القرن الثامن قبل الميلاد

انتقلت السلطة من الملوك إلى النبلاء . واعتمد النبلاء على أساليب الغش والخداع والمصاهرة والاغتصاب لتوسيع ممتلكاتهم ، وإبتزوا الفلاحين وأغرقوهم فى الديون وحولوهم إلى عبيد وفاء بالديون. وحينما اشتغل بعض الإغريق بالصناعة والتجارة حدث تقدم سياسى واجتماعى وظهرت طبقة غنية من عامة الشعب قادرة على التصدى لطبقة النبلاء والبلوغ إلى الحكم . وعرف هؤلاء الحكام الجدد بالطغاة لأنهم كانوا ملوكا غير شرعيين اغتصبوا الحكم من طبقة النبلاء . وكان هؤلاء الطغاة ميالين إلى الإصلاح الاجتماعى ورفع مستوى الطبقات الفقيرة. ومن أشهر هؤلاء الطغاة «صولون» الذى أصلح أحوال الفلاحين ، وألغى الرهون العقارية ، وحافظ على الحرية الشخصية للمواطنين عن طريق إلغاء نظام الإسترقاق بسبب الديون . وبعد الحروب الأثينية الفارسية التى أبلى فيها العامة بلاء حسنا طالب العامة بالاشتراك فى الحكم فأجيبوا إلى طلبهم وبالتالى ظهرت الاتجاهات الديمقراطية فى المدن الإغريقية ونمت على أنحاء مختلفة تبعا لظروف كل مدينة فكانت إسبرطة دكتاتورية محافظة وأثينا ديمقراطية حرة.

أ- نمو إسبرطة:

لم تألف المدن اليونانية فى ممالك مستقرة كالممالك المصرية أو البابلية نتيجة للعوامل المذكورة آنفا ، وظلت مدنا مستقلة لم تتحد إلا فى فترات قليلة وقصيرة من تاريخ الإغريق. ولم يظهر فى بلاد اليونان إتحاد ثابت نسبيا إلا الإتحاد الإسبرطى بقيادة إسبرطة والإتحاد الإثينى بقيادة أثينا . أما أسبرطة فكانت فى بداية أمرها قبيلة دورية نزحت من الشمال واستقرت فى وادى «إيوروتاس» وألفت عددا من المجتمعات القروية . وبمرور الوقت استطاعت إحدى هذه القرى أن تنمو وتسيطر على باقى القرى مؤلفة مدينة دولة . وسميت هذه المدينة بإسبرطة وأصبح لها السيادة فى لاكونيا بعد هزيمة السكان الأصليين . ولقد رفض الإسبرطيون كغيرهم من الغازين الاختلاط بالسكان الأصليين وظلوا يكافحون للاحتفاظ بمكاناتهم وامتيازاتهم . وتبدو تلك النزعة المحافظة من دستورهم الذى تألف من أربعة مكونات هى ملكان ، ومجلس استشارى ، وجمعية شعبية ، والأمناء ، وبالرغم من

تضاؤل سلطان الملوك فى معظم المدن اليونانية فقد ظل النظام الملكى قائما فى إسبرطة فترة طويلة وكانت الملكية وراثية تنتقل من الآباء إلى الأبناء . ولقد استطاعت إسبرطة هزيمة مسينيا وجعل أهلها عبيدا يزرعون الأرض ويدفعون الضرائب للدولة ويمدون الجيش بالمؤن فى أوقات الحرب. ولم يتمتع السكان الأصليون بما تمتع به الغازون من حقوق المواطنة والملكية الخاصة . يقول بورى Bury (١٩٧٢ ، ص١٣١) : « أما السكان الأصليون الذين حولهم الإسبرطيون إلى عبيد فقد زرعوا الأرض للأسياد ... وكانت عائدات الأرض تقسم على النحو التالى : يأخذ السيد نصيبا له ولأسرته ونصيبا للدولة ومازاد على ذلك يكون للعبيد ... وكانت أحوال السكان الأصليين سيئة وظروفهم تعسة مما جعلهم غير راضين ومتأهبين للتمرد والعصيان كلما سنحت الفرصة ». وتألف المجتمع الإسبرطى من جماعة ثالثة عرفت باسم «الهليوت» أى أسرى الحرب الذين اشتغلوا بالزراعة وأعمال الخدمة فى البيوت وكان هؤلاء دائمى التمرد والعصيان.

لقد نظمت الدولة الإسبرطية بحيث يتحرر المواطنون من البحث عن الرزق ليتفرغوا إلى الأعمال العامة . ولذلك أقطعت الدولة كل إسبرطى حر قطعة من الأرض يزرعها له العبيد ، ولم يكن مسموحا للأحرار بالاشتغال بالأعمال المهنية أوالتجارية ، وبالتالى أصبح لديهم الوقت الكافى الذى ينفق فى الحروب أو التدرب على فنون القتال . يقول توينبى (ب.ت ، ص٥٠) : « كانت اللعنة التى حلت بإسبرطة من جراء غزو مسينيا تدعو إلى السخرية . فقد تحتم على الإسبرطيين كيما يحتفظوا بالمسينيين المغلوبين عبيدا زراعيين أن يخضعوا هم أنفسهم لعبودية الخدمة العسكرية الكاملة التى تبدأ من سن السابعة إلى سن الستين . وهكذا فإنهم لم يحرروا أنفسهم من سخرة العمل بأيديهم فى الأرض إلا لكى ينفقوا حياتهم فى ميادين التدريب وبين جدران الثكنات». لقد عاش الإسبرطيون حياة صارمة ولم ينعموا بالهدوء وكانت مدينتهم فيلقاً عسكريا تحكمه قوانين المعسكرات. يقول بورى Bury (١٩٧٢، ص ص ١٣٢ـ١٣٣): «كانت إسبرطة مدرسة حربية كبرى نظم فيها جميع أمور الحياة اليومية بحيث تؤدى إلى خلق جيش قوى ». فحينما يولد الطفل يعرض على مجلس الكبار مبلغ قوته ومدى صلاحيته للحياة فى إسبرطة .

فإذا حكموا بضعفه وضع على قمة جبل وترك ليموت . وفى سن السابعة يعهد بالطفل إلى ممثل الدولة ليدربه على النظام الصارم وتغرس فى نفسه عاطفة الولاء للدولة ثم ينخرط الشاب فى الخدمة العسكرية ويتلقى تدريبات عسكرية عنيفة ويكلف بقتل المتمردين من العبيد والهجوم على القرى لتحصيل قوته . وفى سن الثلاثين يكتمل تدريبه ويصبح رجلا متمتعا بجميع حقوق المواطنة . ولم يسمح للرجال بالبقاء فى بيوتهم فترة طويلة أو الاستمتاع بالحياة الأسرية وإنما أكرهوا على المعيشة فى جماعات يأكلون معا وينامون معا ويحاربون معا ، ولقد امتد هذا النظام الصارم إلى النساء أيضا بهدف تصليبهن وتقوية أبدانهن. ويذكر بورى Bury (١٩٧٢، ص١٣٣) أنه بالرغم مما أثر عن النساء الإسبرطيات من عفة واحترام « فلم يتحرجن من الاتصال الجنسى بالرجال الأقوياء خارج نطاق العلاقة الزوجية ، وبخاصة إذا احتاجت الدولة إلى أطفال أقوياء لتدريبهم على أعمال القتال». لقد كانت الحرب وإعداد الجنود الأقوياء هدفا لجميع القوانين والتنظيمات الاجتماعية فى إسبرطة ، الأمر الذى أدى إلى افتقارها فى الفنون والعلوم بالقياس إلى غيرها من المدن . وكانت هذه هى الضريبة التى دفعتها إسبرطة بسبب الحياة العسكرية الصارمة التى عاشتها.

ب- نموأثينا:

كانت أثينا المدينة الكبرى فى أتيكا مثلما كانت إسبرطة المدينة الكبرى فى لاكونيا. ويشبه تاريخ أثينا تاريخ معظم المدن الإغريقية من حيث خضوعها للملكية والإرستقراطية . ولكن اشتغال أثينا بالتجارة قوض الأسس التقليدية للإرستقراطية من خلال تقديم معيار جديد للتمييز الاجتماعى هو الثروة فلقد أدى الاشتغال بالصناعة والتجارة إلى زيادة أهمية الثروة فأصبحت مساوية للأسس الأخرى للامتياز كنباله المولد. يقول بورى Bury (١٩٧٢ ، ص١٧٥): « فى النصف الثانى من القرن السابع قبل الميلاد اعتمدت الحقوق السياسية فى أثينا كلية على الثروة». وبالتالى أجبرت ارستقراطية المولد إلى إفساح الطريق لإرستقراطية الثروة . وكان لتشريعات «صولون» وإصلاحاته السياسية والاجتماعية أثر كبير فى تحول أثينا إلى

الديمقراطية . فلقد منع استعباد أو استرقاق الفلاحين بسبب ديونهم ، وحدد الملكية الخاصة ، ومنع تصدير الحاصلات الزراعية التى احتاجها الأهالى ، وأجاز تعيين المزارع فى بعض الوظائف . أما الإصلاح العظيم الذى قدمه فيتمثل فى فتح باب الجمعية الشعبية لجميع أفراد الشعب وجعل للشعب حق انتخاب الحكام والاشراف على سلوكهم. وفى النصف الثانى من القرن الخامس قبل الميلاد أصبحت الوظائف الحكومية والسياسية عملا يؤجر صاحبه مما شجع الفقراء والعاطلين على الانضمام للجمعية الشعبية. وفى الحروب الأثينية الفارسية غزت الإمبراطورية الفارسية بلاد اليونان وعسكر جنودها قريبا من ميناء أثينا . واقتضى انقاذ أثينا تجهيز أسطول حربى لفك الحصار الفارسى . ومن ثم أقنعت أثينا التجار بتحويل مراكبهم التجارية إلى مراكب حربية ، واستطاع هؤلاء التجار ـ غير المواطنين ـ انقاذ أثينا من الحصار الفارسى . وبعد الحرب منحت أثينا هؤلاء التجار الأجانب حقوق المواطنة مكافأة لهم على بلائهم فى الحروب . وهكذا كانت أثينا ديمقراطية فى الوقت الذى كانت فيه إسبرطة رجعية محافظة . ولعل هذا التعارض بين أثينا وإسبرطة يبدو من النقول التالية .

قال ثيوسيديس Thucydides (١٩٠٠ ، ص ٧٠) على لسان أحد سفراء كورنث فى إسبرطة : «إنكم لم تفكروا فى أخلاق الرجال الأثينيين الذين أقدموا على حربكم ولا فى كيفية اختلافهم عنكم . إنهم ثوريون وسريعو التفكير وتنفيذ الخطط الجديدة ، بينما أنتم محافظون وحريصون على الاحتفاظ بما لديكم. إنكم لم تبدعوا شيئا ولم تفعلوا ما توجبه الضرورة. إنهم مستبشرون ومغامرون وأنتم مترددون حتى وإن كانت خططكم حكيمة وموثوقة. إنهم يأملون اكتساب شئ بترك بيوتهم ولكنكم تخشون تجربة شئ يعرض ماتملكون للخطر. إنهم طموحون فإذا نجحت خططهم قادتهم إلى خطط جديدة وإن باءت بالفشل لم ييأسوا وإنما يظلون يأملون ويرجون». وفى شتاء عام ٣٤١ قبل الميلاد أقيمت حفلة تأبين لشهداء الحرب الأثينية البيلوبونيزية ألقى فيها بركليز Pericles خطبة تأبين ، قارن فيها بين الأثينيين والإسبرطيين ، وصاغ ثيوسيديس الذى حضر حفلة التأبين معانى الخطبة بألفاظه

على النحو التالى «لاتوجد خصوصيات فى حياتنا العامة أو معاملاتنا الخاصة ، ولايشك أحد منا فى الآخر ، ولانغضب إذا أتى جارنا ماينبغى له أن يفعله ... ولاننسى أن نرفه عن نفوسنا التى أنهكها العمل. إننا نقيم الألعاب المنتظمة ونقدم الأضاحى على مدار العام ، وأسلوب حياتنا فى البيت مهذب ، وتبعد المسرة التى نشعر بها يوميا الأمراض العقلية عنا . إن تدريبنا العسكرى أفضل فى كثير من الجوانب من تدريب أعدائنا. إن دولتنا مفتوحة ولم نطرد أجنبيا أو نمنعه من رؤية أو تعلم شئ قد تفيد معرفته أعداءنا ... وبينما يخضع أعداؤنا أنفسهم لتدريبات قاسية منذ وقت مبكر نعيش على راحتنا ولانقل عنهم استعدادا لمواجهة المصاعب والمخاطر. إننا لانستبق الآلام ولكن حينما يشتد الناس لانكون أقل شجاعة من الذين لم يتركوا لأنفسهم فرصة للراحة . ودولتنا ليست أقل إثارة للإعجاب فى أوقات السلم والحرب لأننا محبون للجمال ومع ذلك أذواقنا بسيطة ، ومعنيون بتنمية العقل دون أن يكون ذلك على حساب الجسم . إننا نهلك الثروة حينما تدعو الضرورة، وليس الفقر عندنا عيباً، بل العيب هو الغفلة عما يعين على تجنبه .... إن أعظم معوق للنشاط فى رأينا هو فقدان المعرفة المستمدة من المناقشة ـ المناقشة الهادفة ـ وليست المناقشة من أجل المناقشة .... إننا نفكر قبل أن نعمل ونتريث ولاننـدفع ـ إن أعداءنا شجعان لأنهم يجهلون عواقب الأمور ، وقد يترددون لو علموا. إن من يتردد بعد معرفته للعواقب يكن أشجع وأحكم. إن أثينا هى مدرسة هيلاس ». ولا مراء فى هذا الحكم لأن أثينا لم تعلم العالم الهلينى فقط وإنما إمتد علمها وثقافتها وفنها إلى مختلف أجزاء العالم ولاتزال الثقافة الأثينية مثالا يحتذى فى كثير من العلوم والفنون حتى الآن.

خامسا: اتجاهات التربية الإغريقية:

يمكن تقسيم الاتجاهات التربوية فى بلاد الإغريق إلى خمسة اتجاهات أساسية هى التربية الهومرية ، والتربية الإسبرطية ، والتربية الأثينية المبكرة ، والتربية الأثينية فى عصر الإزدهار ، والتربية الأثينية المتأخرة. وفيما يلى نوضح أهم معالم التربية فى تلك الاتجاهات الأساسية.

أ- التربية الهومرية:

يذكر فوسيل دى كولانج Fusel de Coulanges (١٩٠١) أن كثيرا من الأفكار الثقافية والتربوية فى العصر الهومرى يمكن استمدادها من أغانى الشعراء المتنقلين الذين كانوا يتغنون بأمجاد الآلهة والأبطال . ففى العصر الهومرى كان اليونانيون شغوفيين بالتغنى بأعمال الأبطال الذين قضوا حياتهم فى ساحات القتال إيقاظا لروح البطولة والحماسة فى نفوس الشباب . وقد احتوت تلك الأغانى على ذكريات الحروب القديمة مثل حرب طروادة . وكانت قصائد هومر من أشهر تلك الأغانى التى تنشد فى المآدب العامة وقصور الملوك ومنازل النبلاء والأسواق العامة . ولقد صيغت ملحمتا الإلياذة والأوديسة لهومر فى قالب فنى ليرددها العامة ويحفظوها . أما الإلياذة فحكت أنباء الحملة اليونانية على طروادة ، وأما الأوديسة فوصفت تيه أوديسيوس ـ البطل اليونانى الشهير ـ وهو عائد من طروادة . وتعلم اليونانيون الكثير عن آلهتهم من قصائد هوميروس التى أخبرتهم أن الآلهة تقيم بين السحب فوق قمة جبل أولمبوس ، وتعنى بمكونات الطبيعة ، وتعين الإنسان على أداء أنشطته المختلفة ، وأن نجاح الإنسان أو فشله يعتمد على رضا الآلهة أو غضبهم . وبالتالى كان على الإغريقى استرضاء الآلهة بالصلاة وتقديم الأضاحى والقرابين . وكان «زيوس» أبا الألهة الإغريقية وصاحب السلطة العليا بين الآلهة . فهو مصدر النور فى السماء ومصدر النظام فى العالم . أما «أبولو» فكان إله الزراعة والخصب والنماء، وحامى الوديان والسهول ، وراعى القطعان، وكاشف الطالع ، ورب الشعر والموسيقى ، وكانت «أثينا» حامية للمدينة و«هيفاستس» راعية للنار وصديقه للحدادين. وكان «ديونسيوس» إله الخمر الذى يتمثل عبادته فى إقامة الحفلات الصاخبة والمسابقات الأدبية . وكانت «أفروديت» ألهة الحب. وفيما يلى نذكر أهم ملامح التربية الهومرية كما تمثلها الإلياذة والأوديسة وغيرها من المصادر الأساسية.

١- أهداف التربية الهومرية:

استهدفت التربية الهومرية خلق نمط مزدوج للإنسان الكامل. النمط الأول هو رجل الحكمة ويمثله «أوديسيوس» ، والنمط الثانى هو رجل الحرب ويمثله

أخيلاس. ولانستطيع أن ننسب أهدافا دينية للتربية الإغريقية فى العصر الهومرى لأن الديانة فى ذلك العصر كانت ديانة أسطورية . فالآلهة الإغريق كانوا أشبه بالإنسان منهم بالآلهة والفرق بينهم وبين الإنسان فرق فى درجة القوة والخلود. وتكشف أعمال هوميروس عن أن ألهة الإغريق تكذب وتخدع وتسرق وتخون وتتزوج من البشر . إن الهدف الدينى الوحيد الذى يمكن تصوره هو إعانة الإغريقى على التشبه بالإله باعتباره إنسانا خارقا . ومن ثم يمكن القول بصفة عامة إن التربية الهومرية استهدفت كمال الجسم وكمال العقل تحقيقا للصالح العام وأن أوديسيوس وأخيل هما النموذجان اللذان ينبغى لكل إغريقى الإقتداء بهما فى سلوكه.

٢- أنواع التربية ومحتواها:

أوجبت طبيعة العصر الهومرى إعداد الإنسان للعمل والحياة وفقا لخصائص العصر وبالتالى نستطيع أن نتخيل نوعا من التربية الاجتماعية التى تخلع على الفرد خصائص مجتمعة وتبصره بحقوقه وواجباته ـ وبخاصة واجباته نحو الأسرة والعشيرة والقبيلة والآلهة . ويمكن أن نتصور نوعا من التدريب العسكرى الذى يعد الفرد للقتال واستخدام الأسلحة . ولانستطيع إغفال مايوجبه أداء الأعمال المختلفة من تدبير منزلى وإدارة لشئون الأسرة والعشيرة والقبلية من إعداد يعين على أداء مختلف تلك الأنشطة. ونظرا لأن المجتمع الإغريقى كان مقسما فى العصر الهومرى إلى طبقات اجتماعية فإننا نستطيع أن نتصور وجود تدريب مهنى على الأعمال المناسبة للطبقات المختلفة . فالنبلاء يدربون على أسلوب حياة النبلاء والعبيد والعمال يدربون على أعمال الزراعة والخدمة فى البيوت وغيرها.

٣- المؤسسات والتنظيمات التعليمية:

لا تدلنا قراءة الإلياذة والأوديسا على وجود تربية نظامية فى العصر الهومرى ولم يرد فيهما ذكر للمدارس باعتبارها مؤسسات تعليمية . إن المؤسسات التعليمية التى يمكن تصور وجودها فى العصر الهومرى هى الأسرة والعشيرة والقبيلة ومجالس الشيوخ والنبلاء والشعراء المتجولين باعتبارهم معلمين للقيم المرغوبة وممجدين

لأعمال البطولة . ولايمكن إغفال أهمية الحياة العامة باعتبارها خبرات تعليمية متراكمة يكتسبها الأطفال والشباب.

٤- طرق التعليم وأساليبه:

إن أهم طرق التعليم التى يمكن تخيلها فى العصر الهومرى هى القدوة والتقليد . فالأطفال والشباب يتعلمون من خلال ملاحظة الكبار وتقليدهم والتأسى بأخلاق الأبطال والآلهة الذين يسمعون عنهم فى القصائد والأناشيد والأغانى . ويمكن أن يتعلم الأطفال والشباب من خلال الممارسة والاشتراك فى أداء الأنشطة المختلفة كالزراعة والصيد والقنص ورعى الأغنام والأبقار وبناء المساكن والحرب وصناعة الأسلحة . الخ.

ب- التربية الإسبرطية:

انقسمت التربية الإغريقية إلى نمطين متميزين هما التربية الدورية والتربية الأيونية. أما التربية الدورية فتمثلها أسبرطة وأما التربية الأيونية فتمثلها أثينا. ففى أسبرطة خضع المواطنون لإرادة الدولة التى أوجبت عليهم طاعة القوانين ، وتوقير الآلهة ، واحترام الوالدين والكبار ، والخضوع للتدريبات العسكرية الصارمة ، والتضحية بالنفس من أجل المصلحة العامة ، وغير ذلك من الاتجاهات التى تعوق نمو الذات الفردية . وفى أثينا نمت اتجاهات مختلفة تحرص على الجمع بين الحرية والنظام، والمصلحة الفردية والواجب العام ، والمبادأة والتعاون، وغير ذلك من الاتجاهات التى تعين على نمو الفردية ورعاية المصالح الاجتماعية . وفيما يلى نقصر حديثنا على بيان أهم ملامح التربية الإسبرطية.

١- أهداف التربية الإسبرطية:

نظمت الدولة الإسبرطية على نحو يحرر الفرد من العناية بأمر نفسه وأمر أسرته ليتفرغ لخدمة الصالح العام. ومن ثم أقطعت الدولة كل إسبرطى حر قطعة من الأرض يقوم العبيد على زراعتها للسادة الإسبرطيين . ولم تسمح الدولة للإسبرطيين الأحرار بممارسة الأعمال المهنية لكى يتفرغوا للتدريبات الرياضية

والمناورات العسكرية تحقيقا للصالح العام. يقول بورى Bury (١٩٧٢، ص١٣١): «تحكم القانون الإسبرطى فى كل شئ تقريبا ، وأخضع كل شئ لفن الحرب. وكان الهدف الوحيد للدولة هو خلق وإعداد المحاربين». ويزيد الأمر جلاء بقوله (ص١٣٢) : «نظرا لتحرر المواطن الإسبرطى من تبعات العناية بأمر نفسه والإنفاق على أسرته انصرف إلى تحقيق هدف الدولة . وكان هدف الدولة الاستعداد للحرب وإعداد المحاربين . لقد كانت إسبرطة مدرسة حربية كبرى». ولقد نظم كل شئ فى أسبرطة من أسرة وزواج وتربية تحقيقا لهذه الغاية . فحينما يولد الطفل يعرض على شيوخ القبيلة لتقدير مبلغ قوته ، فإذا حكموا بضعفه ترك ليموت . أما إذا كان الطفل قويا فيعهد به إلى أهله للعناية به حتى يبلغ السابعة من عمره ثم يعهد به فى السابعة إلى ممثل الدولة يقوم على أمر تربيته تحقيقا لأهداف الدولة ، حيث يتلقى تدريبات رياضية وعسكرية تجعله محاربا قويا شجاعا مطيعا خاضعا للدولة صبورا مستعدا للتضحية بنفسه من أجل الدولة. ونتيجة لذلك أهملت التربية الإسبرطية تنمية الإنسان بما هو إنسان ، وأغفلت العواطف النبيلة والمشاعر الإنسانية والعلوم والفنون والآداب . يقول بينتر Painter (١٩٠٤ ، ص٤٥) : « كانت التربية الإسبرطية بسيطة فى أهدافها ولم تكن قائمة على نظرة عامة للطبيعة الإنسانية أو محاولة لفهم تلك الطبيعة وتنمية قواها. إنها استهدفت تدريب الرجال على مجابهة الأخطار والشدائد... وكان على المواطن أن يكون مستعدا دائما للدفاع عن نفسه وعن وطنه ـ داخل الوطن وخارجه ... ولذلك درب جسمه وعقله وخلقه تحقيقا لهذا الهدف دن سواه».

٢- أنواع التربية ومحتواها :

من الطبيعى أن تكون التدريبات البدنية والعسكرية أهم أنواع التربية اللازمة لتحقيق أهداف التربية الإسبرطية . ولذلك قدمت تلك التدريبات للأولاد والبنات على السواء . ونظرا لأن الهدف العام هو تحقيق المصلحة العامة فإن التربية المدنية والخلقية يمكن أن تعين على تحقيق هذا الهدف . ولقد استخدم التدريب على الموسيقى والغناء والرقص لتحقيق تلك الغاية . فالموسيقى الدورية كانت من النوع

المثير للحماسة ، وكانت الأغانى جادة وذات مغزى خلقى ، وكان الرقص تدريبا بدنيا لتنمية القوة وزيادة النشاط . ومن الصعب أن نتصور وجود نوع من التدبير المنزلى يتعلم من خلاله البنات القيام بالواجبات المنزلية لأن النساء الإسبرطيات لم يكن ربات بيوت بالمعنى الدقيق لأن العبيد والخدم كفوا النساء مؤنة القيام بالأعمال المنزلية كالغزل والنسج وإعداد الطعام وصناعة الأنية الخ. واقتصر عمل الأمهات على حض أبنائهن على الالتزام بواجبات الحرب والضرب والقتال . ويذكر إيباى وأروود Eby & Arrowood (١٩٤٠ ، ص٢١٣) أن إحدى الأمهات قالت لابنها : «خذ درعك ولاتأت إلا به أو عليه» وشكا أحد الأبناء لأمه قصر رمحه فقالت له مبكته « تقدم خطوة نحو عدوك» ولايمكن فى ظل هذه التربية أن نتصور عناية بالتنمية العقلية أو اهتماما ما بالقراءة والكتابة والعلوم والفنون والآداب. إن نوع التدريب العقلى الذى يمكن تصوره هو اطلاع الناشئة على بعض الأفكار أو القيم المتضمنة فى الشعر الملحمى وحفظ القوانين دون مناقشتها أو التفكير فيها. يقول وايلدز Wilds (١٩٤٢ ، ص٨٨): « لم يحظ التدريب العقلى باهتمام كبير وكان مقصورا على حفظ قوانين ليكرغ ومختارات قليلة من أشعار هوميروس».

٣- المؤسسات والتنظيمات التعليمية:

تضاءلت أهمية الحياة الأسرية فى إسبرطة لأن ليكرغ ـ مؤسس النظام الإسبرطى ـ لم يثق فيها. فالحياة الأسرية فى رأيه تنمى المصالح الخاصة ، وتضعف الروابط المشتركة ، وتعرض سلامة المجتمع للخطر . ولذلك أثر ليكرغ الحياة العامة التى يشترك فيها جميع الناس ويكون كل إسبرطى فيها أبا وأخا ومعلماً لكل طفل إسبرطى. وبالرغم من ضآلة أهمية الأسرة باعتبارها مؤسسة تعليمية فقد كانت مدرسة للبنات تناظر فى أهميتها أهمية الثكنات العسكرية للأولاد . ففى سن السابعة يلتحق الأولاد بمدارس عامة يعيشون فيها معاً ويأكلون معا وينامون معا ويلعبون معا ويعملون معا تنمية لقيم المساواة وإذكاء لروح الجماعة فى نفوس الشباب . وفى هذه المدارس العامة اتخذت جميع الاحتياطات لتعويد الأطفال والشباب على تحمل الصعاب وإعدادهم لحياة الجندية، فإذا دخل الطفل المدرسة نام على القش الذى

يجمعه بدون غطاء صيفا وشتاء ، وقص شعره لتعويده على حرارة الصيف وبرودة الشتاء ، وجعل طعامه جافا وقليلا فى المقدار لتعويده على تحمل الجوع . وفى الثانية عشرة يكلف الأطفال بالتجول فى القرى المجاورة وسرقة مايستطيعون حمله من المأكولات تدريبا لهم على أعمال الحرب والضرب . فإذا ضبط أحدهم متلبسا بالسرقة عوقب عقابا شديدا لا لأنه سرق وإنما لافتقاره إلى الحذق الذى ترتب عليه افتضاح أمره . ولقد درب الشباب على الجرى والقفز والمصارعة والعوم وركوب الخيل والصيد والقنص وقذف الرمح ورمى القرص وغير ذلك تقوية لأبدان الشباب وتعويدهم على الصبر والتحمل . وحينما يصل الشباب إلى سن الرجولة يقضون عامين فى التدريب على أعمال الحرب من الثامنة عشرة إلى العشرين . وفى سن العشرين يقسم الشباب يمين الولاء للدولة ويرسلون إلى مواقع الجيش العامل ويشهدون المعارك الحقيقية لكى يتعودوا على رؤية الدماء وإراقتها . وفى سن الثلاثين يجبر الشباب على الزواج والإشتراك فى الجمعية العمومية وبالتالى يصبحون مواطنين كاملى الأهلية ونماذج يقتدى بها الأطفال والشباب.

٤- طرق التعليم وأساليبه:

اعتمد الإسبرطيون على غير طريقة فى تعليم أبنائهم مثل ممارسة النشاط تحت إشراف ممثلى الدولة وكبار الأطفال ، وطريقة القدوة التى يقدم فيها المواطنون الكاملون إلى الأطفال باعتبارهم نماذج تحتذى ، وطريقة التقليد وطريقة الملاحظة. كما استخدموا طريقة التلقين فى تعليم الواجبات والمسئوليات الإجتماعية والخلقية. ويصف بلوتارك فيما يذكر بول مونرو (١٩٤٩ ، ص ٧٧) طريقة المناقشة التى استخدمت فى تعليم الأطفال وكان لها نتائج خلقية واجتماعية بالغة الأهمية حيث يقول : «عندما يركن رئيس الجماعة بعد العشاء إلى الراحة، كان من عادته أن يأمر أحد الصبية أن يغنى له أغنية ويطلب من صبى آخر أن يجيب إجابة موجزة معقولة عن سؤال عام يلقيه إليه كأن يسأله : من أحسن رجل فى المدينة ومن هو حامل الذكر؟ أو ما أنفع عمل قامت به الحكومة فى هذه السنة ؟ أو ما رأيك فى هذا العمل؟ ... وقد كان يطلب من الأطفال عند الإجابة ذكر الأسباب وإقامة البراهين

فى كلمات موجزة. وكل من كانت إجابته خاطئة عضه الرئيس على إبهامه عقاباً له». ومعنى ذلك أن الإسبرطيين استخدموا كل ما من شأنه أن يعينهم على تحقيق أغراض دولتهم ولم يستنكفوا من استخدام العقاب البدنى فى تعليم أبنائهم . وكانوا يشجعون الأطفال والشباب على الشجار وممارسة نوع من المصارعة الحرة تستخدم فيه جميع أنواع الأسلحة ولم يسمحوا للعبيد أو الغرباء أن يمارسوا تأثيرا على الأطفال . ونتيجة لذلك نجح النظام الإسبرطى فى تحقيق أهدافه فأصبح الإسبرطيون جنودا أشداء مطيعين ، معتمدين على أنفسهم ، موالين لدولتهم ، ولكنهم كانوا أغبياء ضيقى الأفق غير قادرين على الاستمتاع بمباهج الحياة فى وقت السلم ، ولم يظهر فيهم عالم أو فيلسوف أو شاعر يعتد به . وحينما قدر لإسبرطة أن تكون زعيمة لبلاد الإغريق لم تستطع أن تقوم بواجبات الزعامة وتركت هذه المهمة لأثينا التى أصبحت دولة عالمية . ولقد أجمل بول مونرو (١٩٤٦ ، ص ٧٩) منتجات التربية الأسبرطية بقوله : « وإذا كان الإسبرطيون قد وصفوا بالخلق الجامد العنيد وبالفضائل الأساسية بدرجة كبيرة أكثر من غيرهم من اليونانيين ، فإنهم لم يتمتعوا إلا بالنذر اليسير من مباهج الحياة ، ولم يحوزوا إلا القليل من الجمال الخلقى ، وقد خلقوا لنا نوعا من التربية أهم منتجاته القوة الجسمية والصبر والمناعة وآداب السلوك المنزلى ومكانة الخلق فى ظل نظام قانونى استبدادى.»

جـ- التربية الأثينية المبكرة:

اشتغل الإغريق الأيونيون فى العصر الهومرى بالرعى والزراعة ولم يعرفوا الصناعة والتجارة . وحينما تقدمت زراعة الزيتون واستخراج زيوته فى أثينا وازدهرت صناعة الأوانى الفخارية وأدوات الزينة اشتغل الأيونيون بالتجارة وجابت سفنهم التجارية سواحل البحر الأبيض المتوسط شمالا وجنوبا وشرقا وغربا. وأدى أزدهار الصناعة والتجارة فى أثينا إلى ظهور طبقات غنية نافست طبقة النبلاء. وكان لارتفاع مكانة الأغنياء من عامة الشعب وانقسام النبلاء على أنفسهم دخل كبير فى ظهور الملوك الطغاة الذين حصلوا على الملك غصباً بمعونة الشعب، وأصبح هؤلاء الطغاة أنصارا للشعب وحماة للديمقراطية ورعاة للتقدم. ولقد أعان الجو

الديمقراطى الذى هيأته قوانين «صولون» وتشريعاته على نمو العلوم والفنون والآداب والفلسفات على أيدى الحكماء السبعة من أمثال طاليس وأنكسيندريس وأنكسيمانس وأنباذوقليس وهراقليطس فى القرن السادس قبل الميلاد . وفيما يلى نحاول بيان أهم ملامح التربية الأثينية فى ذلك العصر.

١- أهداف التربية الأثينية المبكرة:

أكدت أثينا فى هذه المرحلة أهمية بلوغ الكمال الفردى تحقيقا للصالح العام، وكان الكمال الفردى يعنى النمو الكامل للإنسان عقلا وبدنا وخلقا . وقصد بالصالح العام المشاركة فى جميع أمور الدولة فى أوقات الحرب والسلم على السواء، على خلاف الصالح العام الذى قصد به فى إسبرطة خدمة الدولة فى أوقات الحرب. وبينما عنى الإسبرطيون بالقوة عنى الأثينيون بالرشاقة والجمال والاعتدال. إن مثال الرجولة فى أثينا اشتمل على الجمال الظاهرى والباطنى والتآزر العقلى والبدنى ، وبالتالى جمع بين حياة التأمل والحكمة والشجاعة والعمل. يقول بول مونرو (١٩٤٦ ، ص٨٠) : « كل ماكانت تتطلبه الدولة الأثينية من الفرد أن يسير فى حياته بالحكمة يحدوه العقل فى تأدية الواجبات الملقاة على عاتقه ، وهو حر فى الكيفية التى يقضى بها وقت فراغه. وكل ماتريده الدولة منه أن يكون قوى الجسم ، شجاعا فى ساحة القتال». ولقد أعان النظام التعليمى الأثينى على تحقيق تلك الغايات كما يتضح من النقول التى أوردها ثيوسيديس Thucydides (١٩٠٠ ، ص ص٧٠ ، ١٢٨-١٣٠).

٢- أنواع التربية ومحتواها:

غلبت التربية الاجتماعية على التربية الأثينية المبكرة ، واستخدمت التربية البدنية من أجل تنمية الرشاقة والتآزر لا القوة العضلية . وأكدت التربية الخلقية على فضائل الأبطال الهومريين وخدمة الدولة . ودرس الأثينيون الموسيقى والرقص والشعر باعتبارها وسائل للنمو العقلى والخلقى والشخصى . وخلت التربية الأثينية المبكرة من التدريب المهنى والتدبير المنزلى لأن العبيد اضطلعوا بأداء تلك الأنشطة ، وكان

عددهم أربعة أمثال عدد المواطنين . وتعلم الطفل الأثينى القراءة والكتابة وحفظ مختارات من أشعار هوميروس وهزيود وصولون وغناها. وتلقى الأطفال والشباب تدريبات بدنية وعسكرية كالعدو والمصارعة والملاكمة والرمى عن القوس وقذف الرمح واستخدام مختلف الأسلحة.

٣- المؤسسات والتنظيمات التعليمية:

اختلفت مكانة الأسرة ووظائفها فى أثينا عنها فى إسبرطة. ففى إسبرطة لم يسمح للأسرة بالقيام بوظائفها ، وفى أثينا تركت أمور التربية للأسرة وكان للدولة الإشراف العام فقط. يقول إيباى وأرووود Eby & Arrowood (١٩٤٠ ، ص٢٢٥) « يبدو الفرق بين النظامين الإسبرطى والأثينى من موقفهما من الطفل حديث الولادة . ففى إسبرطة تقرر لجنة عامة ما إذا كان الطفل يحيا بينما يقرر الأب هذا الأمر فى أثينا . وفى إسبرطة كان الأطفال ملكا للدولة تعلمهم وتربيهم وفقا لما تراه مناسبا بينما قامت الأسرة فى أثينا بدور فى التربية.» وكانت الأسرة الأثينية تعهد بالطفل حديث السن إلى أحد العبيد الموثوق فيهم ليقوم على أمر تربيته والإشراف على سلوكه ، فيعلمه لبس ملابسه ، وتسريح شعره وربط حذائه وأداب الأكل والجلوس وقيم التواضع والاحترام والإخلاص الخ. ولم تكن الأسرة الأثينية بيئة تربوية صالحة لجهل النساء وفسادهن وتدنى مكاناتهن وتركهن أعمال البيت والإشراف على الأولاد للخادمات والعبيد . وقامت المدرسة بدور كبير فى تعليم الأطفال الأثينيين وتربيتهم ، فقد تعلم الطفل الأثينى القراءة والكتابة والموسيقى فى مدرسة الموسيقى وتدرب على الألعاب المختلفة فى مدرسة البالستر تنمية لقدرات معينة. فالجرى يستخدم لتنمية عضلات الأرجل وقذف الرمح أو رمى القرص لتنمية عضلات الأذرع والمصارعة لتنمية جميع عضلات الجسم . وكانت القوانين الأثينية تحتم وجود مشرف على التمارين الرياضية ، وتوجب تماثل قدرات الأطفال الذين يتنافسون فى لعبة معينة. وكانت جميع أنشطة الحياة فى أثينا ذات دور تربوى كبير ، فالشباب يتعلمون الكثير من اجتماعات الجمعية العمومية حيث يستمعون إلى مايدور من مناقشات . وفى المحاكم يرون القوانين تفسر والعقوبات توقع ، وفى المسرح

يشاهدون الكوميديا والتراجيديا ، وفى موسم الألعاب الأولمبية يتعلمون الكثير عن الحياة فى أثينا لأن تلك المواسم كانت مناسبات للمباريات الرياضية والأدبية والعلمية والفلسفية لاتختلف عن سوق عكاظ وذى المجاز وغيرها عند العرب ، أما التنظيمات التعليمية فتتمثل فى خضوع الأطفال لإشراف الآباء والأمهات والعبيد حتى يبلغوا سن السابعة ، ومن السابعة حتى السادسة عشرة يقضون أوقاتهم فى مدرستين هما مدرسة الموسيقى ومدرسة الباليستر فيتعلمون الكتابة والقراءة والحساب والشعر والموسيقى فى المدرسة الأولى ، ويتلقون تدريبات بدنية على مستوى رفيع فى المدرسة الثانية . وفى السادسة عشرة حتى الثامنة عشرة يتحرر الشباب من الدراسات الموسيقية والأدبية ويستمرون فى أداء التمرينات البدنية. أما الفترة من الثانية عشرة إلى العشرين فتقضى فى الخدمة العسكرية حيث يخضع الشباب لنظام عسكرى صارم ويكلف بحراسة الحدود . وفى سن الثلاثين يكتمل تعليم الفرد ويمارس حقوق المواطنة كاملة. ولقد قدم فريمان Freeman (١٩٠٨) تفصيلات إضافية للتنظيمات التعليمية التى اتبعت فى المدارس الهلينية ، وأورد أدمز Adams (١٩١٩) الخطب التشريعية المنظمة للتعليم الأثينى فى تلك الفترة . ومن ثم نحيل الراغب فى مزيد من التفصيلات عن التنظيمات التعليمية إلى هذين المصدرين.

٤- طرق التعليم وأساليبه :

فهم الأثينيون التربية باعتبارها قيادة للنمو وليست إحداثا له ولذلك لم يفضلوا تدخل المربى فى إحداث النمو وقصروا عمله على التوجيه فقط. وكانت الحرية أهم مايميز التربية الأثينية ، فالطفل يتعلم وفقا لرغباته وقدراته وإمكاناته ولايرغم على تعلم مالايرغب فيه باستثناء المجال الاجتماعى والخلقى. ولعل هذا يبدو على أفضل نحو من النقل الذى أوردناه عن بول مونرو (١٩٤٦، ص٨٠) الذى يقول فيه إن الدولة الأثينية لم تتطلب من الفرد سوى أن يسير بالحكمة ويؤدى الواجبات الاجتماعية الملقاة على عاتقه ، ويكون حرا فى كيفية قضاء وقت فراغه ، ولذلك فقد تعلم الطفل الأثينى الكثير عن طريق القدوة والتقليد ، إذ تعلم القراءة والكتابة والموسيقى والرياضة البدنية عن طريق تقليد أساتذته. وجاء معظم تدريبه عن طريق

إشراكه فى الأنشطة العامة للحياة الأثينية. وتعلم الطفل الأثينى القواعد الخلقية فى العصور الأثينية المبكرة عن طريق التلقين والإيحاء. فالمربى يخبر الطفل أو يوحى إليه بأن هذا حسن وذاك سيئ ، وهذا خير وذاك شر ، هذا مقبول وذاك غير مقبول ، وهذا مقدس وذاك مدنس ، ويعاقب الطفل على انتهاكه للقواعد الخلقية . وكان الأطفال يزودون فى المدارس الابتدائية بالكتب العظيمة ، والقصائد الممتازة أملا فى اقتدائهم بما تدعو إليه من قيم ونصائح وإرشادات خلقية واجتماعية.

د- التربية الأثينية فى عصر الأزدهار:

نضجت مواهب الأثينين فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وتفتقت قرائحهم عن روائع العلوم والفنون تحتذى فى العصور اللاحقة. وكان لطبيعة الحياة الديمقراطية التى عاشها الأثينيون دخل فى تنمية تلك المواهب حيث وفرت أثينا الشروط الضرورية لنمو الذكاء الإنسانى . يقول إيباى وأروود Eby & Arrowood (١٩٤٠، ص ٢٨٨) : « لقد ظهر المفكرون المبدعون فى كل مكان فى بلاد الإغريق ، وظهر الفلاسفة والعلماء فى المدن الساحلية فى أسيا الصغرى ، وميجارا ، وجنوب إيطاليا ، وظهر البلاغيون والخطباء فى صقلية ، وظهر المؤرخون والدراميون فى مختلف الدول اليونانية . ولكن أثينا وحدها هى التى وفرت المناخ المناسب ، والحرية ، والتشجيع اللازم للتعبير عن تلك المواهب». ويعرف العصر الذى نمت فيه العبقرية اليونانية بعصر «بركليز» وهو عصر وقعت فيه تغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية وعقلية كان لها آثارها البالغة على التربية الأثينية . فالحرب الفارسية التى بدأت فى عام ٤٩٠ قبل الميلاد وانتهت فى عام ٤٧٩ قبل الميلاد أدت إلى جعل أثينا زعيمة للعالم اليونانى بعد انتصارها على الفرس فى موقعة سلامى Salamis. وكان الفضل فى إحراز هذا النصر راجعا إلى طبقة التجار الذين حولوا مراكبهم التجارية إلى مراكب حربية ، وأبلوا بلاء حسنا فى القتال . وقد ترتب على هذه الحرب منح طبقة التجار وغيرهم ممن اشتركوا فى الحرب حقوق المواطنة الأثينية وسمح لهم بالاشتراك فى تدبير أمور الدولة ، وأصبح لكل منهم الحق فى الكلام فى الجمعية العمومية وانتخاب القادة والزعماء. وجاءت القيادة فى العالم الأثينى لمن حظى بالتأييد

الشعبى ، ولذلك انتصر صاحب البلاغة والفصاحة على الارستقراطى بحكم المولد . وهكذا أصبحت أثينا أعظم مدينة ديمقراطية. ولما كانت طبيعة الحياة فى بلاد اليونان توجب على كل مواطن القيام بأعبائه السياسية والاجتماعية والثقافية كان من الضرورى إعداد الطبقات الجديدة للحياة الأثينية وتحمل مسئوليات المواطنة. وهنا ظهر السوفسطائيون لإعداد هؤلاء الناس للحياة والعمل فى ظل المجتمع الأثينى من خلال تقديم برنامج مختصر لتعليم حقوق المواطنة ومسئولياتها ، وتقديم ما احتاجه الفرد من فنون الخطابة والكلام الجيد. ولقد اقتضت طبيعة الحياة فى عصر «بركليز» تنمية القدرة على الكلام الجيد لأن الأثينى كان مضطرا إلى الدفاع عن نفسه فى المحاكم واعتمدت المناصب السياسية على القدرات اللغوية ، يقول بورى Bury (١٩٧٢ ، ص٣٨٥): «أعز الإغريق فن الكلام المقنع منذ أيام نستور وأوديسيوس. ومع نمو المؤسسات الديمقراطية أصبح فن الكلام المقنع مهماً .... لقد اقتضت المؤسسات المدنية من المواطن القدرة على الكلام ، وكانت القدرة على الكلام أكثر أهمية للشخص الراغب فى الحصول على منصب سياسى . فإذا استدعى الشخص للمثول أمام القاضى ولم يعرف كيف يتكلم يكون أشبه بمواطن أعزل يجابه جنودا أشداء مدججين بالسلاح.» ولقد انعكس هذا على المجتمع والثقافة والتربية كما يبدو مما يلى :

١- أهداف التربية الأثينية فى عصر الأزدهار:

ظهرت مثل جديدة بعد ذهاب قيم الطاعة وأداء الواجبات المدنية فى الحرب والسلم لتحل محلها قيم الثروة والإشباع الشخصى والصالح الفردى وكان على التربية أن تواجه هذه المطالب الجديدة . ولقد تمثل هدف التربية فى عصر الازدهار فى البلوغ إلى الكمال الفردى من أجل النجاح الفردى لامن أجل الصالح العام. يقول وايلدز Wilds (١٩٤٢ ، ص٩٨) : « لقد تغير الهدف القديم الذى تمثل فى الخدمة الاجتماعية والمنفعة العامة إلى فردية أنانية مبتذلة . واحتاج الشباب الأثينى إلى تدريب يحررهم من قيود النظام القديم ومعاييره ، وينمى فيهم مهارات أكثر فائدة فى تحقيق التقدم الشخصى والحصول على المناصب السياسية.» واستطاع

السوفسطائيون اشباع هذه الاتجاهات واجابة تلك المطالب. والسوفسطائيون جماعة من المعلمين المتنقلين الذين وفدوا إلى أثينا من المستعمرات اليونانية بحثا عن الثراء فى أثينا والاستمتاع بثقافتها الزاهرة . وأخذ السوفسطائيون يعلمون الشباب فنون الكلام والإقناع نظير أجر معلوم. ومن أشهر هؤلاء المعلمين السوفسطائيين بروتاجوراس الأبيديرى الذى ادعى القدرة على تعليم الحكمة فى الشئون العامة والخاصة ، وبروديكوس السيوسى الذى ادعى القدرة على تعليم الفضيلة والخلق القويم ، وهبياس الإيلى الذى ادعى تعليم تلاميذه كل العلوم ، وجورجياس اللونتينى الذى ادعى القدرة على تعليم الإلهيات وغيرهم. ولقد وضع هؤلاء السوفسطائيون معايير جديدة للسلوك حلت محل السلطات التقليدية قوامها النسبية. ولقد عبر بروتاجوراس عن الاتجاهات الجديدة بقوله : « الإنسان مقياس كل شئ » وبالتالى لاتوجد مبادئ عامة أو قواعد سلوكية يتفق عليها الجميع بل ان على كل انسان أن يحدد كيف يكون سلوكه تجاه الآخرين وواجبه نحو الدولة . وأكد السوفسطائيون أن اللذة هى هدف جميع الناس ، وأن مصلحة الفرد أهم من مصلحة الدولة ، وأن السلوك التلقائى أفضل من السلوك الأخلاقى. ولم ترق تلك التعاليم للمحافظين من أمثال «أرسطوفان» «وزينوفون» اللذين حاولا استئصال النزعة الفردية وإرجاع الشباب إلى خدمة الدولة ، ولكن الظروف الجديدة أحدثت مطالب جديدة ولم يكن ممكنا لأثينا استعادة مثلها القديمة. وحينما ظهر سقراط وأفلاطون فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وظهر أرسطو فى القرن الثالث قبل الميلاد حاولوا التوفيق بين الاتجاهات الفردية والاتجاهات الاجتماعية على درجات متفاوتة من النجاح . وبالرغم من تأثيرهم الكبير فى الحياة العقلية للعالم كان تأثيرهم محدودا فى الممارسات التربوية فى أثينا. وسوف نقدم سقراط ممثلا للفكر التربوى الإغريقى لعمق أفكاره وقلة شيوعها بالقياس إلى أفكار أفلاطون وأرسطو ، ولتأثيره فيها.

٢- أنواع التربية ومحتواها :

أدى التقدم الكبير الذى حدث فى عصر « بركليز» إلى زيادة التقدم فى العلوم والفنون والأدب ومختلف وجوه الثقافة ، وظهرت بدايات النظرية التربوية، وكانت

المشكلة الخلقية أهم القضايا التربوية فى ذلك العصر. فلقد بدأ الناس يتساءلون : ما الفضيلة ؟ وما المواطنة الصالحة ؟ وهل يمكن اكتسابهما عن طريق التعليم أم أنهما منحة من الآلهة ؟ الخ وبالتالى كان التدريب الخلقى من أهم أنواع التربية فى عصر بركليز . أما السوفسطائيون فقد ناقشوا المشكلة الخلقية وحسموها بطريقتهم ، فكان أساس الأخلاق عندهم فرديا وعقليا . وبالتالى علموا الناس أن الفرد هو الذى يحدد أهداف حياته ومعايير سلوكه وخدماته للدولة. وأما سقراط وأفلاطون وأرسطو فقد انبروا لمقاومة أفكار السوفسطائيين وسلموا بإمكان تعليم الأخلاق وبالتالى تحدثوا عن التربية الخلقية . وبالرغم من اختلافهم على مفهوم الفضيلة ، فقد دافعوا عن الحياة الفاضلة التى ينسجم فيها الصالح الفردى والصالح الاجتماعى . وكان التدريب العقلى فى عصر بركليز أكثر منه فى أى عصر مضى ، فلقد زاد السوفسطائيون الدقة العقلية من خلال عنايتهم بالدلالات اللغوية ومفاهيم الألفاظ ، واستطاع سقراط أن يقدم نظاما للتدريب العقلى يكشف عنه منهجه المعروف ، وقصر أفلاطون التدريب الفعلى على أبناء الطبقة الحاكمة ، ووصف أرسطو طريقة الاستقراء. ولقد أدت العناية بالعلوم العقلية إلى إغفال التدريبات البدنية والعسكرية وآثر الشباب الاستماع إلى المناقشات وحضور دروس العلم والأدب . وكان للسوفسطائيين فضل العناية بالتدريب المهنى نظرا لقيامهم بتدريب الخطباء البلغاء وأصحاب الكلام المقنع ، والمحامين والسياسيين وأصحاب الحرف الأخرى . ودعا أفلاطون إلى أنواع من التدريب المهنى تناسب طبقات المجتمع كالحكام الفلاسفة والجنود والعمال . ولقد ظل محتوى التعليم الابتدائى كما كان عليه فى العصور السابقة ، حيث تعلم الأطفال القراءة والكتابة والحساب والشعر والموسيقى والرياضة البدنية . وفى المستويات التعليمية العليا حلت التدريبات العقلية والأدبية محل التدريبات البدنية والعسكرية حيث درس الشباب الهندسة والفلك والحساب والقواعد والبلاغة فى المدارس الثانوية ، والفلسفة والرياضيات والعلوم فى التعليم الأعلى.

٣- المؤسسات التعليمية :

ظلت مدرستا الموسيقى والبالسترا تقومان بدورهما على مستوى التعليم الابتدائى مع اختلاف فى المعايير عن العصور السابقة . أمامدرسة الموسيقى فقد استهدفت تحقيق الإشباعات الشخصية وموافقة الأذواق الفردية وليس إثارة الحماسة وروح الفداء والعاطفة القومية. وأما مدرسة البالسترا فقد استهدفت الرشاقة وتناسق الأعضاء وليس تنمية الفكرة . وحدثت التغيرات الكبرى على مستوى المدرسة الثانوية . فالمدارس الثانوية فى العصور السابقة كانت معنية بالتدريبات البدنية والعسكرية . وفى عصر بركليز اهتمت بالدراسات العقلية والأدبية ، وتهافت الشباب لتلقى تلك الدراسات على أيدى السوفسطائيين. ولقد أنشأ السوفسطائيون مقررات ومجالات معرفية جديدة أقبل الشباب على دراستها مثل مباحث اللغة والبلاغة والمنطق . ولم يكن للسوفسطائيين مدرسة وإنما كانوا يعرضون أبحاثهم ودراساتهم فى أماكن خاصة أو فى الملاعب والشوارع والأسواق. وكان هؤلاء السوفسطائيون معلمين مهنيين بالمعنى الفنى للكلمة. ونظرا لأن المعلم المهنى يعيش على الأجر الذى يتلقاه من التعليم فإنه كان يحدد أتعابه حسب الظروف ، فإذا كثر عدد الطلبة وزادت المنافسة رفع المعلم أجره، وحينما تقل المنافسة يخفض أجره ليجذب الطلبة . ويذكر مارو Marrou (١٩٥٦، ص ٤٩) أن « بروتاجوراس » حدد أتعابه فى تدريس مقرر فى الدراسات المدنية بعشرة آلاف دراخما ، فى الوقت الذى كان فيه الأجر اليومى للعامل دراخما واحدة. ولقد علم سقراط تلاميذه بنفس طرق السوفسطائيين مع اختلاف واحد يتمثل فى أنه لم يأخذ أجرا لأنه لم يدع معرفة شئ، ولكنه كان يجوب الأسواق ويعلم الشباب الجدل والفضيلة والحكمة على قارعة الطريق وفى أى مكان يمكن أن يلتقى فيه بالشباب . أما أفلاطون وأرسطو وايزوقراط فكانوا أكثر استقرارا . فأفلاطون علم تلاميذه فى الأكاديمية ، وعلم أرسطو تلاميذه فى الليسيوم ، وعلم إيزوقراط تلاميذه فى مدرستين مدرسة أنشأها فى شيوس ومدرسة فى أثينا . ومما هو جدير بالذكر أن مدارس إيزوقراط كانت محاولة للجمع بين محاسن المدارس السوفسطائية ومدرسة أفلاطون . فلقد أعلن

إيزوقراط Isocrates (١٩٢٩، ص ص١٨٠ـ ١٨١) رفضه للمدارس السوفسطائية لأنها معنية بالخطابة والنجاح السياسى فقط وهذا لايكفى لإقامة نظام سياسى مستقر. كما رفض ايزوقراط مدرسة أفلاطون لأنه يدعى تعليم الحكمة ويقضى الأطفال حياتهم فى مدرسته ولايبلغون إليها ، مما يضطرهم إلى اتخاذ قراراتهم على أساس من المعرفة الشائعة لا الحكمة . وكان هدف إيزوقراط إعانة الشباب على الحصول على المناصب السياسية من خلال تعلم الخطابة والجدل مع العناية بالصالح العام. وفيما بعد التقت تلك التيارات جميعا فى جامعة أثينا ثم فى جامعة الإسكندرية.

٤- التنظيمات التعليمية وطرق التعليم:

حصر وايلدز Wilds (١٩٤٤ ، ص١٠٨) التنظيمات التعليمية للتربية الأثينية فى عصر الازدهار فى أربعة مستويات هى « التربية المنزلية من الميلاد حتى السابعة ، والتعليم الابتدائى من السابعة حتى الثالثة عشرة ، والتعليم الثانوى من الثالثة عشرة حتى السادسة عشرة ، والتعليم العالى فى المدارس الفلسفية والبلاغة فيما بعد السادسة عشرة » وفيما يتعلق بطرق التعليم ظلت الطرق المتبعة فى المرحلة الابتدائية كما كانت فى العصور الماضية . وفى المراحل الأعلى قدم السوفسطائيون طريقتى المحاضرة والمناقشة ، وتضاءلت أهمية طرق الملاحظة والممارسة والقيام بالنشاط ، وقدم سقراط طريقته المعروفة التى تستهدف حفز الطلبة على التفكير لأنفسهم بلوغا إلى الحقيقة . ولقد اتبع سقراط هذه الطريقة فى تعليم تلاميذه وماتزال تحظى باحترام المربين المحدثين وهى تعرف الآن بالطريقة الجدلية.

هـ- التربية الأثينية المتأخرة:

عرف فيليب ملك مقدونيا ما كان عليه العالم اليونانى من فرقة واختلاف وتقطع أوصال ، ولما تبوأ الحكم عزم على بسط نفوذه على بلاد الإغريق . واستطاع بعد سلسلة من المناوشات العسكرية هزيمتها فى معركة كيرونيا عام ٣٣٨. وبعد موت فيليب خلفه ابنه الاسكندر الذى تلقى تعليمه على يد أرسطوطاليس . وتابع الاسكندر سياسة أبيه التوسعية ، فاستولى على سائر المدن اليونانية وامتدت فتوحاته

إلى فينيقيا ومصر وبلاد فارس ، ودان له العالم القديم. ونظرا لإعجابه بالثقافة اليونانية فقد حرص على نشرها فى جميع البقاع التى امتدت إليها جيوشه. وتعرف ثلاثة القرون التى أعقبت موت الاسكندر بالعصر الهلينى الذى انتشرت فيه الثقافة اليونانية فى جميع أرجاء العالم القديم. يقول تونبى (ب. ت ، ص١٢٨) : «قد تفاخر بركليس .... بأن أثينا هى مدرسة هيلاس. وقد أخذ جبابرة ملوك مقدونيا البربرية قول بركليس مأخذ الجد وطبقوه بحذافيره لا كما قصد بركليس فحسب ، بل بأساليب لم تكن تخطر له على بال ووسائل لم يكن يعيها قط.» وبلغ من افتتان المقدونيين بالثقافة اليونانية أن دعا الملك أرخيلاوس الكاتب المسرحى الأثينى يوربيديس إلى بلاطه فى بيلا ، وجعل الملك فيليب الثانى اللهجة الأتيكية اللغة الرسمية فى محكمته العليا . واعتمد على الفيلسوف الشهير أرسطو فى تربية ابنه وولى عهده الاسكندر ، وزود المشاة المقدونيين بآخر مستحدثات الأسلحة العسكرية وأحدث التشكيلات الطيبية.» ويذكر براستد (١٩٨٣ ، ص ٤١٧) أنه لما ثارت طيبة على مقدونيا رغبة فى التحرر والاستقلال خربها الاسكندر» وأبقى على منزل الشاعر الكبير «بندار» لأنه يحترم الثقافة اليونانية». ولقد استعان بطليموس بديمترى الخطيب اليونانى لإنشاء مكتبه الاسكندرية ومتحفها ، وأمره بترجمة كثير من الكتب المصرية والمقدونية والأسيوية إلى اللغة الإغريقية . ولكن الحروب الكثيرة وتقلب مزاج الحكام والغزوات الجرمانية وتعنت النصارى أقلق مسار التعلم والتعليم فى أثينا. وفيما يلى نحاول بيان أهم ملامح التربية الأثينية فى عصورها المتأخرة .

١- أهداف التربية:

حدثت تغيرات كبيرة فى العادات الخلقية والمبادئ الدينية والسياسية بعد عصر بركليز مذهب المثل الأعلى الذى أوجب إعداد الشباب لخدمة الدولة والولاء للمدينة، وحلت محله نسبية أخلاقية ، ونزعة فردية ذاتية مبتذلة ، وكان انهزام الأثينيين على أيدى المقدونيين ضربة قاصمة للعواطف القديمة والفضائل المدنية ولم يستطع الأثينيون الاجتماع على مثل أعلى وكان لهذا الاختلاف أثره البالغ فى قلة كفاءة نظامهم التعليمى . لقد اختلف الاثينيون على الأهداف التى ينبغى أن يسعوا

إلى تحقيقها ، والطرق التى يستعان بها على بلوغها ، وسادت الاتجاهات العامة التى دعا إليها السوفسطائيون ، وبالتالى أصبح لكل فرد هدفه الذى يحرص على تحقيقه بالطرق التى يراها مناسبة . ولم تشترك تلك الأهداف الفردية إلا فى محاولة البلوغ إلى المكاسب الذاتية وشغل مناصب السلطة ، ووسيلتهم فى ذلك هى الفصاحة والبلاغة والكلام الجيد.

٢- أنواع التربية ومحتواها :

أصبحت الخطابة الأداة الضرورية للإعداد للحياة فى القرن الرابع قبل الميلاد وأصبح الكلام المنمق هدف كل متعلم . وتنافست الخطابة مع الفلسفة ، وكانت الغلبة للخطابة ، ومن ثم زاد الاهتمام بالدراسات الأدبية وتحليل اللغة والأدب والتدريب على فنون الكلام . وفى القرن الثالث قبل الميلاد حدث تغير كبير فى التربية العسكرية حيث اختزلت فترة التدريب إلى عام واحد بدلا من عامين . وألغى الطابع القسرى فى التدريب العسكرى ، وفتحت الكلية الحربية أبوابها لاستقبال ابناء الأجانب بعد أن كانت وقفا على المواطنين . أما على المستويات الدنيا من التعلم فلم تحدث تغيرات جوهرية وظل محتوى التعليم على ماكان عليه فى العصور السابقة.

٣- المؤسسات التعليمية :

ظهرت بعض المدارس الفلسفية فى عصر بركليز مثل أكاديمية أفلاطون وليسيوم أرسطو والمدارس الابيقورية وغيرها وأصبح لها أماكن معلومة ومكتبات فأقبل عليها الطلاب من كل مكان . وفى العصر الرومانى تأسست جامعة أثينا حيث أنشأ الإمبراطور أنطونيوس كرسياً للبلاغة وكرسيا للنحو فى مدينة أثينا ينفق عليهما من الميزانية العامة للدولة . وأنشأ الإمبراطور ماركوس أورليوس كرسيا للبلاغة وثمانية كراسى للفلسفة بواقع كرسيين لكل مدرسة من أربع المدارس الفلسفية المعروفة فى ذلك العصر . وتكونت جامعة أثينا فى القرن الرابع قبل الميلاد من معلمى البلاغة والقواعد والخطابة وثمانية المعلمين الذين يعلمون الفلسفة، هذا فضلا عن المدارس التى أنشأها السوفسطائيون . وفى عام ٤٢٣ ميلادية أصبحت النصرانية الديانة

الرسمية للامبراطورية الرومانية فأغلقت المدارس الفلسفية «الوثنية» فى عهد الإمبراطور جستانيان فى عام ٥٢٩ ميلادية وهاجر الفلاسفة اليونانيون إلى فارس ولقد عجلت هذه الأحداث المفجعة بذهاب الثقافة الاغريقية بعد انتشارها فى جميع أجزاء العالم القديم .

٤- التنظيمات التعليمية وطرق التعليم:

أصبح التعليم فى العصر الرومانى فى حوزة الأباطرة يستخدمونه لتدريب الشباب على واجبات الخدمة فى المناصب الحكومية وأنشئت المدارس العامة التى تنفق عليها من المال العام وأخضع المعلمون للإشراف من جانب الدولة وخضع أساتذة الجامعات لمثل هذه القيود . ولم تختلف تفاصيل التعليم فى العصر الهلينى عنه فى عصر بركليز إلا فى التوجه ودرجة التأكيد . ففى عصر «بركليز» كانت الخطابة والبلاغة والنحو مقررات ليبرالية واسعة الأفق ثم أصبحت متخصصة ضيقة الأفق فى العصور المقدونية والرومانية . وفى العصر الهلينى اختزلت التربية العسكرية وأتاحت التشريعات الحربية دخول الكلية الحربية لأبناء الأجانب . وفيما عدا ذلك ظل النظام التعليمى كما كان عليه فى العصر السابق. ونظرا لعناية النظام التعليمى بالخطابة فقد اتبعت طريقة الحفظ لتقوية الذاكرة وزيادة الثروة اللغوية . فكان الطلبة يكلفون بحفظ مختارات من الخطب العظيمة ويحاولون معارضتها وتقليدها. وأصبحت الخطابة فى التحليل النهائى فناً مسليا كالرياضة والموسيقى لانتفاء الأسباب التى تدعو إلى وجودها ، وبالتالى غلبت الشكلية وانتفى التعلم الحقيقى . وهكذا تحولت الحضارة عن سماء أثينا لتشرق من جديد فى روما.

المراجع

أولا : المراجع العربية :

١- أرنولد توينبى ، تاريخ الحضارة الهلينية (ترجمة رمزى جرجس وصقر خفاجة) ،القاهرة، الأنجلو المصرية ،(بدون تاريخ) .

٢- جايمى هنرى براستد ، العصور القديمة (ترجمة داود قربان) بيروت : مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ١٩٨٣ .

٣- ج. هيجل ، محاضرات فى فلسفة التاريخ (العقل فى التاريخ) ترجمة وتقديم وتعليق إمام عبدالفتاح إمام ، جـ١ ، ط١ بيروت : دار التنوير للطباعة والنشر ، ١٩٨١ .

٤- سعد مرسى أحمد ، تطور الفكر التربوى ، ط١٠ ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٩٢ .

٥- عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون (تحقيق على عبد الواحد وافى) جـ١ ، ط١ ، القاهرة : دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٧٩ .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

1- Adams , c. , English Translation of the speeches of A eschines , New York , 1919.

2- Bury , J. A History of Greece to the Death of Alexander the Great , (3rd Ed.) , Oxford: Macmillan , 1972.

3- Eby , F. , & Arrowood , c., The History and Philosophy of Education , New York , Prentic Hall , Inc., 1940.

4- Freeman , K. , Schools of Hillas , London : The Macmillan , 1906.

5- Fusel de Coulanges , The Ancient City , Boston : Lee and Shepard, 1901.

6- Gardiner , E. , Greek Athletic Sports and Festivals London, The Macmillan , 1910.

7- Gomperz , T. , Greek Thinkers, vol. 1, New York : Scribners 1905.

8- Isocrates , Antidosis , Vol. 2, Cambridge , Mass. : Harvard University Press , 1929.

9- Laurie . S., Historical survey of Pre - Christian Education , (2nd Ed.) , London : Longman . 1900.

10- Marrou . H. , A History of Education in Antiquity , New York : Sheed and Word, 1956.

11- Painter . F. . A History of Education . New York. D. Appleton - Century co. , 1904.

12- Thucydides . The History of Thucydides (Tranlated by Jowett), Vol s, I, 2, Book I. London : Oxford University Press, 1900.

13- Wileds. E. , Foundations of Modern Education ,War Department , Washington D-C. , 194.